سلسلة: علماء الإسلام وملحمتهم التقويمية عبر التاريخ

مقدمات نحو صياغة أنموذج منظوري إرشادي إسلامي عام في الفقه والعلوم

صناعة الفقه (11) المجتمع والأنموذج الحداثي الغربي، تقييم نقدي

الحلقة الثانية

2.1) جدلية الدجاجة/البيضة: هل الفرد أسبق في الوجود أم المجتمع

على خلاف المدرسة الاجتماعية الفرنسية، التي تنهج المنهج الكلي، فـالمدرسة الاجتماعية الألمانية الممثلة بالاقتصادي والقانوني والمؤرخ وعالم الاجتماع والسياسي الألماني ماكس فيبر (*Max Weber*) (1864 – 1920) ، تنهج المنهج الجزئي في مقاربتها ل علم الاجتماع. ف "الفرد"[1] هنا "الجزئي"، جزئية الإلكترون الحر!، له الأولية الوجودية على "المجتمع الكلي".

لذا، سنجد فيبر يركز فقط على الأشخاص المتفردين، الذين لهم وحدهم، في نظره:

القدرة على التوجه وترجمة الأحوال إلى معايير من أجل بلوغ غاية ما، أو الحكم على نتيجة ما، وبالتالي القدرة على التصرف.

[1] التي تتخذ من الفرد أساس كل مقياس اجتماعي معياري حسب الفيلسوف بروتاغوراس: "الإنسان مقياس كل شيء".

وقد نشر فيبر سنة 1905 كتاب: "الأخلاق البروتستانتية ودرو الرأسمالية" 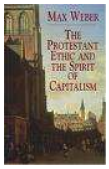

،

الذي لا يخفي منزعه العقدي من خلال عنوانه ومضمونه[2].

وهو ينحى في هذا الكتاب منحاً على طرفي نقيض، مع ما ذهب إليه الاجتماعي اليهودي

الفرنسي دافيد إميل دوركهايم (David Émile Durkheim) (1858 – 1917) ، حامل

لواء وضعية أوغست كونت (*August Comte*) (1798 – 1857) ، الذي يقول بوجود:

"بنيات" (*Structures*) "كلية" و"جبرية" قبلية ثابتة تحكم أفراد المجتمع ولا فكاك لهم من أسارها، أو وجود "منطقيات اجتماعية" (*Logiques Sociales*) لها سمة "الموضوعية" (*Objectivité*)، و"الائتلافية"، أو "الجماعية" (*Collectivité*)، من غير أن تكون ذاتية أو مشخصة!.

قلت:

وهو الفكر الذي سيكون له رجع صدى لدى الكثير من المصريين المتخرجين من *فرنسا* أو المتأثرين بمنظور هذه الوضعانييه من أمثال:

1) قاسم أمين (1863 – 1906) صاحب كتاب: "تحرير المرأة" ،

---

[2] أنظر النقد الموجه لهذا المنحى عند بنديكس راينهارد في: "الأخلاق البروتستانتية-إعادة نظر" في: Reinhard, B., 1968: "The Protestant Ethic-Revisited", Journal of Comparative Studies in Society and History, 9, n°3 (April) p. 266-273.

2) و**علي عبد الرزاق**[3] (1888 – 1966) صاحب كتاب: ***الإسلام وأصول الحكم*** "

،

3) و**طه حسين** (1889 – 1974) صاحب كتاب: ***في الشعر الجاهلي***"

،

4) و**أحمد لطفي السيد** (1872 1963) الملفق بين شتات وأوزاع من **المفاهيم الإسلامية**، و**الفلسفة الإغريقية**، و**أفكار "التنوير!!** ***الفرنسية***، و**الليبرالية** ***البريطانية***،...

وكل هؤلاء، ومن دون استثناء، يعتبرون إما تلامذة مباشرين **للشيخ محمد عبده** (1849 – 1905) ، أو ممن تأثروا ب **أفكاره التي كان يبثها** في دروسه في"**التوحيد**"، و"**المنطق**"، و**الأخلاق**"، والتي كان يلقيها ب**الرواق العباسي** في "**الأزهر**" أو في درسه **الاجتماعي** حول ***عبد الرحمن بن خلدون*** في "**مدرسة دار العلوم**"، أو في درس ***اللغة العربية*** في "**مدرسة اللغة العربية**"، و"**مدرسة الألسن**".

قلت:

[3] الاسم الكامل: علي حسن أحمد عبد الرازق.

وقد أتاحت له كل هذه المنابر تبليغ أفكار شيخه **جمال الدين الأفغاني** (1839 – 1897)

. الذي ما انفك يشجعه على تدريس كتاب الوزير الفرنسي **فرنسوا غيزو** (François

Guizot (*Pierre Guillaume* (1874 – 1787) : "**تاريخ المدنية في أوروبا منذ سقوط الإمبراطورية الرومانية إلى الثورة الفرنسية**"" (Histoire générale de la civilisation en Europe depuis la chute de l'empire romain jusqu'à la Révolution française. **Guizot, F., 1938: "**)

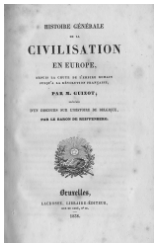

، بعد أن شجع على ترجمة الكتاب إلى العربية سنة 1877، تحت عنوان: "**التحفة الأدبية في تمدن تاريخ الممالك الأوروبية**" وطلب من الشيخ عبده أن يكتب مقالا للترحيب بالترجمة ويشرح نظرية الكتاب.

أما بالنسبة ل**فيبر**، الذي يعتمد **الفرد** أساساً ل "**الفعل الاجتماعي**" (*Social Action*)، فإن مثل هذه "**البنيات**" (*Structures*) :

> **ليست جزءاً من الواقع الاجتماعي! سوى في حدود تمثل الأفراد لها ذاتانياً كمحددات أو شروط موضوعية لأفعالها القصدية.**

ونلاحظ هنا بأن **فيبر** يتخذ موقفاً "**إسميا**" (*Nominaliste*) بالنسبة لكل **كيان جماعي** يثيره **الخطاب اللغوي العام** أو **العلوم الاجتماعية عامة**.

قلت:

وعلى غرار هذا **الاختلاف المنهجي**، بين **المدرسة الفرنسية** ممثلة ب**دوركهايم**، و**المدرسة الألمانية** ممثلة ب**ماكس فيبر**، سنجد **مدارس وطنية أخرى** تنزع منازع شتى خاصة بها، حال:

1) **المدرسة الإيطالية** الممثلة ب: **فيلفريدو باريتو** (*Vilfredo Pareto*) (1848 – 1923)

2) و**المدرسة الأمريكية** الممثلة ب:

أ) **روبرت كينج مرتون** (Robert King Merton) (1910 – 2003)

ب) **وتالكوت إدجر بارسونز** (Talcott Edger Parsons) (1902 – 1979)

الذي حاول التلفيق والجمع بين **كل هذه الرؤى** و**المناهج**.

وبما أن الخصوصية في هذا الحقل مثلت القاعدة وليس الاستثناء، فلن نعجب أن نجد **المدارس الماركسية** بكل أطيافها تعاني من ذات الانشطارية في الأفكار، على ما سنكتشف بعد حين.

ولم تقتصر **الاختلافات** في المنظورية على هذا الجانب الوطني فحسب، بل امتد بالتوليد بداخل هذه المدارس والمذاهب الوطنية التي، وإن **جمعت بينها الجغرافيا**، إلا أن ما كان يفرق بينها من جهة **المصالح** كان أكبر، وانعكس بالتالي على تنظيرهم، ليولدوا نظريات تترجم لها.

بل الأدهى!، هو أن يكتشف المرء، بعد أن يكون قد جهد وكد في محاولة فك ألغاز وطلاسم بعض هذه النظريات، أن من **خواصها الأساسية العجيبة**، وعلى خلاف التنظير في

العلوم الصلبة، التي رامت محاكاتها، أنها لا تعنى بتفسير الواقع، كما هو مفروض من النظرية، بل تسعى إلى تشكيله أو تفسيره ليوائم المنطلقات العقائدية للمنظر، قبل أي شيء آخر.

أي: أن النظرية لا تسعى هنا إلى تمثل الواقع ودراسته، كما هو مأمول منها كنظرية علمية، بل هي تكأة للتبرير الإيديولوجي لقناعات المنظر القبلية، بمعزل عن الواقع، المفروض منها أنها تحاول تسليط الضوء عليه لتفسيره.

وهذا ما نجده مثلاً في مفهوم:"الأنماط المثالية" (*Idéal-typique*)[4] عند ماكس فيبر.

ف "التنميط المثالي" عند فيبر يقوم على أساس تجميع وانتقاء المعلومات والمعطيات كي يتيسر عقلنتها!!!. أي هي محاولة لتنظيم فوضى المعرفة الاجتماعية بغيـــة تشكيل وتنميط هذا العالم عبر الفهم[5]..

والمفارقة هنا، هي أن هذا التنميط للعالم، بالانتقاء فـــي المعطيـــات بغـــرض تعقـــل الظواهر، لن يخلو نفسه من تحكم وهوى، مادام كل باحث ينظرً إلى ذات الظـــاهرة، ســـيتعقلها بذاتانيته المشخصة، التي تختلف قطعاً عن تعقل غيره لها. وهو ما يعري هذه الإجرائية من أية فائدة من جهة التعميم، كما هو مطلوب في العلم.

وهذا منحى مطرد في هذا الحقل حتى صح فيه القول المأثور في مثله بكون وقائعه هي: "حقائق مشحونة بالتنظير" (*Facts are theory-laden*)، أي أن التنظير هو كل ما هنالـــك ولا يعتبر الواقع العياني سوى زخرف زائد، يتم تجاوزه باستمرار.

---

[4] "التنميط المثالي" عند فيبر يقوم على أساس تجميع وانتقاء المعلومات والمعطيات كي يتيسر عقلنتها. أي هي محاولة لتنظيم فوضى المعرفة الاجتماعية بغية تشكيل وتنميط هذا العالم عبر الفهم. أنظر: ألبرو مارتن: "بنائية ماكس فيبر لنظرية اجتماعية" في:
Martin, A., 1990: "Max Weber's construction of social theory", p. 35. Mac Millan Education LTD, London.

[5] أنظر: ألبرو مارتن: "بنائية ماكس فيبر لنظرية اجتماعية" في:
Martin, A., 1990: "Max Weber's construction of social theory", p. 35. Mac Millan Education LTD, London

وهذا منحى مرضي عام (*Symptomatque*) في حقل الاجتماعيات والعلوم الإنسانية عامة، كما تطورت في الغرب.

ونجد نظيراً لهذا المأزق عند دوركهايم أيضاً، الذي لم يفلح قط في القيام بعملية "التشيؤ الوضعانية" (*Positivist Reification*) ل "الحوادث الاجتماعية" التي ظل يكرز بها في كتابه: "قواعد المنهج في علم الاجتماع"[6]، حيث نجده يحيل على "وعي جماعي" غير محدد معرفياً أو وجودياً ولا يُدرى هو نفسه ما هو؟.

قلت:

وهو ما نجده نجده أيضاً عند بعض الإناسيين (الأنتروبولوجي)، والفرنسيين منهم خاصة، الذين لهم ولع تليد بمثل هذه الثرثريات المتعالمة، لتجذر المثقف الفرنسي في مثل هذه الممارسات، حيث لا يختلف دوره الاجتماعي كمنظر وكمنافح عن مبادئ الثورة الفرنسية عن دور الراهب القديم في حكومة الإكليروس الكنسية في الكرز **بالوعود الكاذبة** أو **الزائفة**.

وهو ما نجد نمطاً آخر منه في أعمال ألإناسي البنيوي اليهودي الفرنسي: كلود ليفي شتراوس (Claude Lévi-Strauss) (1908 –) الذي يستعمل مفهوم "البنية" من منظور رياضياتي يعتمد بنيوية السويسري: فيردينان ده سوسير (Ferdinand de

[6] Durkheim, E, 1956: "Les Règles de la Méthode Sociologique", , PUF, Paris

Saussure) (1875 – 1913) 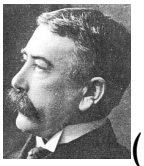 اللغوية، ذات الفحوى الجبري الرياضياتي!، وليس بمفهوم: "الهيكلية".

فالبنيوية بالمفهوم الدو سوسيري، ستسود كتقليعة إبستيمولوجية في خمسينيات القرن العشرين، لدى بعض المحسوبين على اليسار الماركسي، الذين سيأخذون على عاتقهم نقد وتقويم الإنتاج الأدبي، والفني، والمسرحي، وغيره من العلوم الإنسانية من منظور بنيوي، وإن بتكلف ظاهر، قبل أن يأتي عليها الدور بدورها بعد أن تقادمت، لتحل محلها التقليعة التفكيكية، نقيضتها الإبستيمولوجية، كمنظورية جديدة إلى النصوص، والفنون.

وهو ما يستشف من مقالات لليفي شتراوس كتبها ما بين سني 1945 إلى 1957 وأودعها في كتاب نشره سنة 1958 تحت عنوان: "الأنتروبولوجيا البنيوية" (*Anthropologie structurale*).

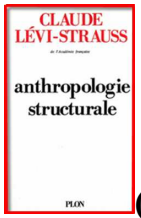

قلت:

والمفارقة هنا هي أن إشكال عدم التماهي مع الواقع المعاين، سواء من جهة "التنميط"، أو "التشخيص"، لا يقف عند هذا الحد النظري المرتبط بالتخصص، بل يتعداه إلى الاختيارات الشخصية للمنظر أيضاً.

ف فيبر المخضرم المعارف مثلاً، كان لا يعتبر نفسه، وعلى عكس الفرنسي دوركهايم، "عالم اجتماع" بل "عالم اقتصاد" في المقام الأول، وظل يعترض طوال حياته على الاعتراف ب

"علم الاجتماع" كمادة انتظامية صالحة لأن تدرس في الجامعة الألمانية![7]، بينما نجد الأمريكي: بارسونز الملفق بين المدرستين، يضيف إلى الحقل الاجتماعي، النكهة البراغماتية النفعية الأمريكية المعهودة!.

قلت:

والعجيب هو أن هذه الميول الشخصية، لم تقتصر على الأفراد فحسب، بل امتدت لتشمل مكونات اجتماعية أكبر.

وخير من نمثل بهم لهذه الظاهرة: القيمون على توزيع جوائز نوبل (الذين قد لا يخلون، في بعض اختياراتهم، من اعتبارات ودوافع إيديولوجية وسياسية كذلك)[8].

فقد وجدناهم يخصصون جائزة لكل من: "علم الاقتصاد" و"حقل الآداب" مع تجاهل مطلق لكل العلوم الإنسانية الأخرى مثل ما يسمى ب "علم النفس"!، أو "علم الإناسة"!، أو "علم الاجتماع"،...إلخ..

وكلها، وبدون استثناء، وحتى إشعار آخر، لا زالت تصنف ضمن أشباه العلوم الوصفية الذاتانية، التي يخالجها الكثير من هوى الباحث وتتأطر بخلفيته الإيديولوجية، حال "علم التاريخ" تماماً، الذي هو فن قبل أن يكون علماً!.

قلت:

---

[7] أنظر: (Alain Caillet, 1992: Revue du MAUSS, N°. 24 - 25)

[8] أنظر كتابنا: "كيف تمت هندسة فيروس اسمه ادونيس"

لكن، بالرغم من الهشاشة النظرية التأسيسية البادية للعيان في هذه العلوم، وعدم كفايتها في التفسير أو التوقع، ومنزعها الفكراني (الإيديولوجي) الذاتاني الطاغي، فقد نعجب أن يطلع علينا أدعياء محليون، ليس الاختراع من شيمهم، ولا الإبداع لهم بسجية، يدعون تحضير (من الحضارة) المسلمين بالاغتراف من أشباه هذه العلوم المخثرة بالإيديولوجيات، حال ما نجد عند:

1) المؤرخ المغربي عبد الله العروي في "تاريخانيته"!! المستوحاة من "الخلاصية الميتافيزيقية" و "الليبرالية - الإنسية" عند كل من الألماني ماكس فيبر (Max Weber) المخضرم التخصصات والإيطالي بينيديتو كروتشة (Benedetto Croce) (1866 – 1956) المؤمن ب "التاريخانية المطلقة" وتلميذيه المباشرين:

أ) الروماني: جورج لوكاش (György Lukács) (1885 –1971)

ب) والإيطالي: أنطونيو غرامشي (Antonio Gramsci) (1891 – 1937)

الذي سيصبغ على مواطنه الإيطالي: نيكولو مكيافيللي (Niccolo Macchiavelli) (1469 – 1527) لقب "المخلص"!!، حيث لا يمل العروي ولا

يكل في تيه صحرائه العقائدية المجذبة من الكرز بهذه التقليعة المنقولة عن الغرب، بعد أن غادرها أصحابها وأصبحت في خبر كان، بأن:

"الماركسية التاريخانية" هي مقياس الحداثة والمعاصرة!!.

أو حين يقول:

{أجمع التاريخانيون (وهو يعد نفسه من بينهم!) على أن التاريخ هو تاريخ الإنسان الحر! الواعي! وأن ما عداه فهو تاريخ بالنسبة للإنسان وليس تاريخاً في حد ذاته. وترتب على هذا الموقف تغيير جذري لمعنى التاريخ!، إذ أصبح التاريخ يعني دائماً وأبداً كلاماً عن الحاضر. إن المؤرخ لا يصف الماضي كماضي وإنما يصف الماضي المستحضر في ذهنه..}

قلت:

وهو يعني بذلك أن للمؤرخ التاريخاني شقشقته الشهرزادية الخاصة به كتخريف ميتا-لغوي وميتا-تاريخي محض، لكن مشحون بالتعالم الواهم المتأكدم الفارغ، الذي يؤخر ولا يقدم!.

بل هو مجال هلامي واسع ومتعدد ويليق بحكواتية جامع الفنا بمراكش ك حلقة دردشية في اللامعقول، وليس بمفهوم التاريخ كما يعرفه الناس!.

– ترى! هل أكان العروي حراً؟ أو واعياً؟ وهو يدعي أن الروح الإنسية والليبرالية والعقلانية الأوروبية تصلح للتبني لقلب الأوضاع الإسلامية عندنا؟!.

– أم تراه! كان حراً؟ أو يملك ولو ذرة واحدة من الوعي، حين اختار عن قناعة وتصميم، مع أن خيارات جمة ظلت مفتوحة ومشرعة أمامه، أن يكون **حكواتياً** يؤلف في القصص المبتذل، دون إبداع يذكر، بينما الواقع المغربي المزري ظل يستنهض ولا يزال همة مؤرخين من الوزن الثقيل، بحثاً عمن ينبش فيه ويعريه ويفتته ويفكك أوضاعه وغزله بغية قلب الواقع وتثويره ؟

ولا شك أن السيد العروي، وهو خريج مدرسة المولى يوسف الاستعمارية، ما كان باستطاعته بحكم التنشئة والتكوين، أن يخرج من جلده ولا من قالبه الذي شكلته بداخله الثقافة الفرنسية وصاغته، ولا كان منتظراً منه ك مقتات على طاولة منظري الغرب، وكطاووس ثقافي يزين مؤخرته بريش غيره، بحسب البرمجة الأصلية له، غير هذا!.

أنظر كتابه: "الإيديولوجيا العربية المعاصرة" الذي ألفه طراً باللغة الفرنسية، سنة 1967، لغته الأولى، وقدم له فيه: المؤرخ، والاجتماعي، والمستشرق اليهودي الشيوعي: مكسيم رودنسون (Maxime Rodinson) (1915 – 2004) قبل أن تعربه وتنشره دار الحقيقة غي بيروت سنة 1970 عن الأصل الفرنسي:

L'Idéologie Arabe Contemporaine, 1967:" Préface de Maxime Rodinson, éd. Maspéro Paris

وكذلك كتابه: "أزمة المثقفين العرب: التقليد أو التاريخانية" المترجم عن أصله الفرنسي:

"La Crise des Intellectuels Arabes: Traditionalism ou Historicime", 1974 Maspéro

قلت:

وقد انتقده في منحاه **شيوعيان** من المشرق العربي، يعانيان بدورهما من عين ما عاني

هو منه، من جهة التكوين و**الغسيل الفكراني**

، الذي خضعوا له جميعهم، ولا يخلوان بدورهما من نقيضة وجودية، وهما:

أ) **الشيوعي** المصري: **محمود أمين العالم (1922 – 2009)** 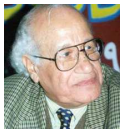
، المتخرج في الفلسفة، والمدرس لها بمصر، والمدرس أيضاً ب**جامعة باريس 8** خلال الفترة (1073 – 1984) بدعوة من **جاك بيرك**
، بعد أن كان نظام **أنور السادات**
قد ضيق عليه ونغص معاشه. وسيعنى العالم، كغيره من **أصنام المشاريع، بتأصيل!!!!!:** **العقلانية !، والديمقراطية ! والإبداع !، مع أنها ثلاثتها مؤصلة في الغرب** ومنذ دهر!ز وهو وصاحب كتاب: "**الوعي** و***الوعي الزائف!!!*** **في الفكر العربي المعاصر**" دار الثقافة الجديدة، 1986، القاهرة.

وقد ناقش العالم أطروحات **العروي** في مجلة: "**قضايا عربية**""، العدد 1، 1975 ص. 111 – 120.

ب) والشيوعي السوري: طيب تيزيني (1934 - المتخرج من ألمانيا الشرقية الشيوعية في "**الفلسفة**" في كتابه: "رؤية جديدة للفكر العربي من العصر الجاهلي حتى المرحلة المعاصرة: من التراث إلى الثورة" (1: 161 – 165)، 1976،دار ابن خلدون، بيروت.

قلت:

وما يجمع بين هؤلاء المشارقة والمغاربة سواء، حتى وهم يردون مثلاً على بعضهم البعض خارج الزمان والمكان وبما لا يشفي، أو على بعض المغرضين الغربيين،عرضاً وليس قصداً، من باب الأنفة القومية أو الدفاع عن الذات المحتقرة من طرف نرجسيي المركزية الغربية، حال:

أ) عبد الله العروي نفسه في انتقاده ل الأنتروبولوجية الثقافية للتاريخ الإسلامي عند المستشرق الأمريكي النمساوي الأصل جوستاف فون غرونباوم (Grunebaum, G., E., Von) (1909 – 1972)، أو حال:

ب) المغربي عبد الله الحمودي في انتقاده لبعض الإناسيين، وصاحب مؤلفات لا تخطئك نبرتها الاستشراقية بقلم محلي من شاكلة: "فصل في مكة" (UNE SAISON 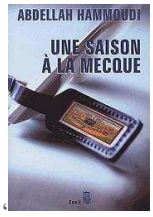

A LA MECQUE) و الشيخ والمريد، تكوين وأسس القوى السلطوية في الدول العربية (MAITRE ET DISCIPLE - Genèse Et Fondements Des Pouvoirs

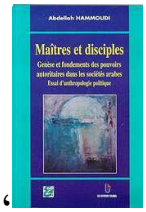

(Autoritaires Dans Les Pays Arabes)، و"الملكيات العربية"

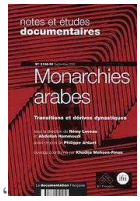

(MONARCHIES ARABES)، وغيرها. أو: الدردشي الفرنسي الجزائري الأصل، المصطنع على أعين المستعمر، والمخثر بالثقافة الدردشية الفرنسية من أخمص قدميه وحتى ناصيته:

ت) محمد أركون في عبثية انتقاده للمستشرقين، بعد أن لم يعد لانتقادهم من معنى بعد نقد الفلسطيني: إدوارد سعيد (1935 – 2003) لهم في كتابه المعلمة: "الاستشراق"!

، والذي كوفئ بجائزة: "جيورجيو ليفي ديلا فيدا في الدراسات الإسلامية" (Seventeenth Giorgio Levi Della Vida Award in Islamic Studies) (الصورة له وهو يتسلم الجائزة شهر مايو سنة 2002 في جامعة كاليفورنيا، لوس أنجلوس) أو:

ث) و الاجتماعي: عبد الكريم الخطيبي (1938 – 2009) ،

الحاصل على عدة جوائز فرنسية تنويهاً بالخدمة وشهادة على الفيرسة التامة،.....وغيرهم.

قلت:

فهؤلاء عملوا جميعاً كقدر مقدور من داخل المنظورية الغربية ولم تربطهم قط صلة أو وشيجة ب "الأنموذج الإرشادي الإسلامي العام"، اللهم عندما يلتحقون بربهم، ويصلي عليهم كمسلمين غفل، صلاة الجنازة، ويميزون بكونهم: "رجل"!

بل كانوا جميعا وبدون استثناء من أكبر أعدائه بسبب الاستلاب التكويني والتنشئة التعليبية القهرية التي خضعوا لها منذ الصغر في محاضن المدارس الاستعمارية.

فهؤلاء، وحتى في ردودهم على بعض المغرضين الغربيين، يشوب منطقهم نقص وغبش، لأنهم يظهرون وكأنهم يعضون اليد التي أحسنت إليهم وانتشلتهم من جماعتهم المتخلفة في عرفهمّ

وهل من غنية في ردودهم، بينما لسان حالهم يعاني من مركبات نقص لا تعد ولا تحصى، في حين أن الإطار المرجعي الغربي نفسه يسمح بوجود منصفين لا يعميهم الشنآن الداخلي، حتى يجهلوا بالمعطيات الصرفة التي تنصف الإسلام، حال:

أ) المؤرخ الإنجليزي: السير: ريتشارد. ويليام. سذرن (*Richard William Southern*) (1912 – 2001) في كتابه: "نظرات الغرب إلى الإسلام في القرون الوسطى" (*Western Views of Islam in the Middle Ages*) الصادر سنة 1962، أو:

ب) المسيحي الفلسطيني إدوارد سعيد.

بل إن من المستشرقين من أسلم بعد دراسة نقدية ومقارنة للإسلام بغيره من الديانات حال:

أ) السويسري يوهان لودفيخ بوركهارت (Johann Ludwig Burckhardt) (1784 – 1817)

المعروف أيضا باسم: *(John Lewis, Jean Louis)* ،

ب) والإنجليزي: ومارمادوك ويليم بيكثول (Marmaduke Pickthall) (1875 – 1936)،

الذي سيتسمى بمحمد.

ت) والألماني فريتس كرنكوف الذي تسمى بمحمد سالم الكرنكوي (*Fritz Krenkow*) (1872 – 1953)،

ث) والإنجليزي وفيلبي، (Philby, H., St., J., B.) (1885 – 1960)،

ج) والنمساوي **ليوبولد قايس** (Leopold Weiss) (1887 – 1963)

الشهير باسم محمد أسد صاحب كتاب: "**الطريق إلى مكة**"، و"**الإسلام في مفترق الطرق**" وغيرهما،

ح) واالسويسري **فلوري** (Flury, S.) (1873 – 1935)،

خ) والمجري **جوليوس جرمانوس** (Germanus, Julius.) (1884 – 1979) ، الذي سيتسمى **عبد الكريم جرمانوس** .

د) والألماني **إدموند شنيتسر** (Schnitzer, Edmund.) (1840 – 1892)،

ذ) والفرنسي **ميشو – بللير** (Michaud-Bellaire, E.) (1843 – 1928)،

ر) والفرنسي **إتين دينيه** ***Etienne Dinet*** (1861 – 1229) المتسمي

ب **ناصر الدين**، ...أو:

من المنصفين المعاصرين من أمثال:

ز) **جون إسبوسيتو** (John Esposito)،

س) و**إيفون حدّاد** (Yvonne Haddad) ،

وجون فول (John Voll) ، وثلاثتهم من مركز التفاهم المسيحي-الإسلامي بجامعة جورج تاون الأمريكية (Georgetown University)،.....وغيرهم.

ش) وتشارلز بترورث (CHARLES E. BUTTERWORTH)[9] ،

ص) والأستاذ بجامعة ميريلاند (University of Maryland)، المتخصص في العلوم السياسية:

لويس كنتوري (Louis J. Cantori) (ت: 2008) 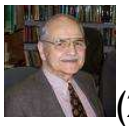 ،.... وغيرهم كثير، ممن مكنوا للكثير من الغربيين أن يكتشفوا الإسلام من خلال ما كتبوا عنه.

قلت:

وعودا على بدء، فلهذا التقاطع الإيديولوجي استمرارية في تاريخ التفكير الغربي، حيث نجده يجدد نفسه متقمصاً لذات الأنساق الفكرانية بأسماء أو باستعارات جديدة، حال ما نجد عند أكبر ممثليهم في القرن العشرين وهو: تالكوت بارسونز (*Talcott Parsons*) (ت: 1979) صاحب النظرية الاجتماعية الموسومة ب "الوظيفية البنائية" (*Structural Functionalism*) التي يبرر بها لقيام النظام الرأسمالي.

بل إنه لم يطورها أصلاً، سوى كرد فعل على النظرية الماركسية التي تدين وتنتقد "الرأسمالية"![10].

[9] له ترجمة وافية على هذا الموقع: {http://www.bsos.umd.edu/gvpt/butterworth/Ceb-CV.pdf}

ونجده يجمع في نظريته هذه، وفي تلفيق ظاهر، ما بين "النظرية الفردية" ل فيبر و"النظرية الكلية" ل دوركهايم المتعلقتين ب "الفعل الاجتماعي" (*Social Action*)[11]!، دون أن يجعل من نظريته التلفيقية، لا:

أ) نظرية أكثر كفاءة في التوقع بالواقع،

ب) ولا أكثر مصداقية تفسيرية!، رغم التعقيد الذي طوقها به، حتى عدم أن يوجد من يفهمها أو يحل ألغازها أحد سواه!.

قلت:

وهذ قمة في النرجسية وفي التنظير المتقعر!، الذي لا ينتظر منه طائل!.

وتتجلى هشاشة هذه المقاربات النظرية بشكل ملفت، في ظهور مثل هذه النظريات البالغة التعقيد والانغلاقية!، مع ظهور أصحابها، الماسكين وحدهم بمفاتيح تفسيرها!، تعيش بحياتهم وتخرج من الساحة بموتهم، إلا أن يأتي سادن أو ملفق جديد يحاول إحياءها بقراءته الخاصة وتأويليته الأكثر خصوصية، بإضافة بادئة (*Neo*): "حديث"! عليها، لتحيى بحياته من جديد، إلى أن تلقى حتفها، بلقاء حتفه بدوره، ليأخذها معه إلى قبره!، حال نظرية *بارسونز* نفسه، التي ماتت تماماً بموته سنة 1979، حتى سماه أحد النقاد[12] المتعاطفين معه ب "الأب المخلوع"!، ليأتي أحد الوارثين لهذا الإرث، الذي لا وارث له، وهو جفري أليكساندر (Jeffrey C.

---

[10] هو ما يكتشفه المرء دون عناء من خلال كتابات بارسونز، وهو ما حكم عليه به ألفن غولدنر في كتاب: "الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي" في:

Gouldner, A. W., 1970: "The Coming Crisis Of Western Sociology", Heinemann, London.

[11] أصدر بارسونز كتاباً يحمل ذات العنوان سنة 1937: "بنية الفعل الاجتماعي" وأعيد طبعه مرات:

(Parsons, T., 1968: "The Structure of Social Action", Free Press, New York)

[12] هو بيتر هاملتن: أنر كتابه المخصص لبارسونز في:

(Hamilton, P., 1983: "Talcott Parsons", Ellis Horwood, ChichesterLTavistock, London)

(Alexander أستاذ الاجتماعيات ب **جامعة ييل** (Yale University)، **ليتعهد هذه التركة القديمة/الجديدة ويستفيد منها استفادة: "إحياء الموات"** [13] **في الفقه الإسلامي، حيث أعاد تسميتها ب "الوظيفية الحديثة"** (*Neo-Functionalism*)[14].

انتهى وتليه الحلقة الثالثة

المشاكل المرتبطة بالاعتبارات المعيارية العقدية

[13] من أحيى أرضاً ميتة لا زرع فيها فهي له.

[14] أنظر كتابه:(Alexander J. 1985: Neo-Functionalism, Sage, London)